ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتترك دينك ودين ابائك
فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتترك ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح
نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرف به فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما
يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد
اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد
هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يداخل بدن الانسان
ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية
وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل
عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من
عداوته ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الآية وقال تعالى الم اعهد
اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا
بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى
والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفات ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين
المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما
يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه
الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في
معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم
الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من
الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك
ووعظك وقد انعم الله تعالى عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض

لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله تعالى الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف
الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير
ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال
يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر
الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده
الجاه والقبول فيهلك بسببه ويظن انه عند الله تعالى بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك
روي ان ابليس لعنه الله تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان
له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان ايضا من هذا الجنس لا تتناهى وبه
يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان
امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه
في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات
الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن
النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف
لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى
ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل من اعمال حسبوها حسنات فاذا هي سيئات فاعظم واغمض انواع
علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله
الخلق واشتغلوا بالعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق
الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوساوس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها
من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل
يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب
وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت
اذ لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره
بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1